Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهناك أبعاد متراكبة، في الواقع، تجعل المشروع السيرذاتي شبيها بالسجل العام، منها ما هو ذاتي صرف، يخص الكاتب إذ يطمح إلى تخليد ذكره لفرادة قدرها وتميز بها، أو لتجارب عاشها وأراد تسجيلها، ومنها ما هو تاريخي يرتبط بتوثيق الأحداث التي مر بها ومرت به، يستوي في ذلك أن تكون هذه الأحداث فردية أو عائلية أو مجتمعية، ومنها ما له طبيعة اعتبارية تتصل بالمجال الذي احتواه واستغرقه، كالثقافة والأدب وسوى ذلك.

يتضح إذن أن الدوافع العامة الحاملة على الكتابة، ولم نبسط منها هنا إلا ما يفيد في تجلية بعض الحوافز التي يعلل بها الكتاب انغمارهم فيها، تعود إلى مستويين اثنين: الوعي والمقصدية، ذلك أن الإحساس بالكينونة الفردية تحت وطأة الشعور بالفرادة والاختلاف، بصرف النظر عن التناقض أو الانسجام الذي يمكن أن يكتنف تلك الكينونة، يتحول، تدريجيا، إلى مكون رمزي محوره الذات، تشع أبعاده بمختلف مظاهر التميز والخصوصية. ولا يجب أن نستثني، ونحن نشير إلى الإحساس بالكينونة، تجليات الوجود الاجتماعي لهذه الذات، فهذه لا توجد، في الواقع، إلا ضمن العلاقات العامة كما قدمنا، بل ولا تكتسب خواص فرادتها إلا منها. ووعي الذات باختلافها هو أيضا وعيها بالتمايزات التي تستفردها بهذه الخصيصة أو تلك من خواص التنشئة أو الثقافة أوالاعتقاد، ضمن النسيج المجتمعي الحاضن إلخ.

أما المقصدية فنجدها في التصريح الذي يلتزم به الكاتب أمام الكتابة نفسها، كفعل يؤلف به حياته، كما يسترجع محكييها في الزمان والمكان من جهة، وأمام قارئ يتبدى له ويستهدفه من جهة أخرى. يستوي في ذلك أن يكون هذا القارئ فردا معلوما أو مجهولا، ظاهرا أو مستترا، حقيقيا أو مفترضا. وغالبا ما تتشخص المقصدية في طرف يعيّنه الكاتب تبعا لما يفترضه لقوله من جدوى. والحال أن السيرة الذاتية تتخلق عادة في حوار صامت مع هذا الطرف، بل ولا تكتسي قيمتها الأدبية أو الفكرية أو السلوكية... إلا حين تتوجه إليه مهما اختلفت بواعث هذا التوجه. وإذن إذا كانت السيرة الذاتية لا تكتب، كما يقول ف. لوجون، من طرف مجهول[1]، فإنها لا تقرأ أيضا إلا بواسطة معلوم.

1 - Moi aussi, Seuil; Paris 1986, p. 70